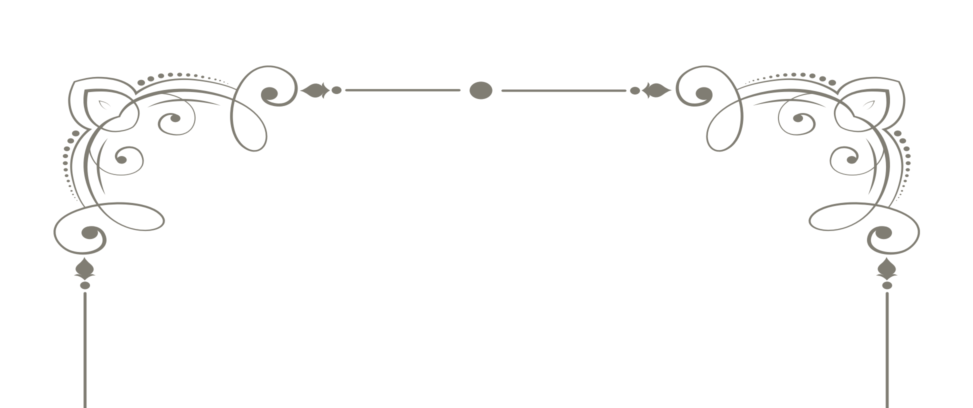


كتابات وخواطر

م. محمد سمير

مركز الفتح
للبحوث والدراسات

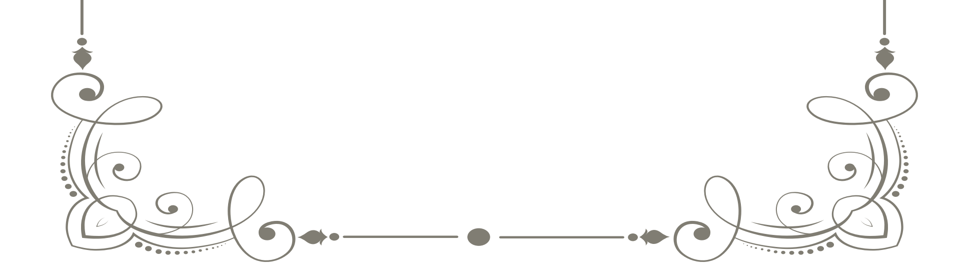

بسم الله الرحمن الرحيم



(قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢)
إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)

هكذا كان حال النبي أنه لن يجيره من الله أحد إذا لم يبلغ عن الله..

ونحن لن يجيرنا من الله أحد إذا لم نطع الله ورسوله...



معنى الحياة

إلى متى تظل تُسكت ذلك الصوت الدفين الذي يُذكّرك دوماً أنّ حياتك ستنتهي لا محالة؟
إلى متى تظل تُسكت ذلك الصوت الذي يلحّ عليك متسائلاً عن المعنى من حياتك؟
إلى متى تظل تهرب من تلك الأسئلة التي تُطاردك:

(لماذا أنا هنا؟، وهل هناك معنى؟، وما هو ذلك المعنى؟
وهل أنا موجود هنا فقط لأعيش وأستمتع -أو أحاول أن أستمتع- إلى أن أموت؟!)

- هل تظنّ حقاً أنّك هنا فقط لتأكل وتشرب وتنام وتنجب ثم تموت؟!
وهل هذا يعني لك شيئاً آخر غير أننا تماماً كالأنعام، بل أقلّ قدراً وأضلّ حالاً فهي أنعام قد أُحيطت بدوامات من القلق الوجودي والحيرة الغائية دون أن تُحرك سمعاً ولا بصراً لمحاولة الإجابة وفهم الحياة؟

«لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ».

- هل ستظل تظن أنّ الموت خلفك يجري وراءك سريعاً وأنت تستطيع الهرب منه جيداً، في حين أنه لم يزل منذ البداية أمامك واقفاً منتظرك وأنت الذي تجري إليه؟



«قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ»
هل أنت تفرّ من الموت أم تفرّ من الله؟

- فإذا أردت أن تفرّ من الله حقاً، فلابُد أن تعلم أنّه الوحيد الذي يُفرّ منه إليه!

«ففرّوا إلى الله».

لأنّ في الأخير إلى ربك المُنتهى.
«فأين تذهبون».

معجزة القرآن

القرآن بما فيه من عقائد نقية وتشريعات وقصص غيبية ماضية ومستقبلية وإجابات عن أسئلة وجودية مصيرية أرقت الفلاسفة عبر التاريخ لا يمكن أن يكون خارجاً من شخص نشأ في بيئة وثقافة المجتمع الجاهلي..
الرسول نشأ وسط ثقافة المجتمع الجاهلي ولم يرحل عنها حتى الهجرة..

الله يقول: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا)..

إذن هذه المعارف القرآنية لم يولد بها الرسول ولم يتعلمها من مجتمعه وبيئته...
من أوجه إعجاز القرآن أنه يستحيل أن يخرج من الوسط الثقافي للمجتمع الذي خرج منه بل ولا من أي مجتمع محدد بحدود زمانية ومكانية ضيقة...
القرآن نظرة إلهية للوجود متجاوزة للزمان والمكان...
الحياة كلها بتتلخص ف الايتين دول:
((وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ [ثُمَّ] اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ))..

- منهج في أصل الوجود والغاية من وجود الانسان..
- مدخل في فهم طبيعة النفس البشرية..
- مدخل تأسيسي في علم التزكية وفهم مكمن العداء مع الشيطان..



- مدخل تأسيسي في فلسفة العلوم الإنسانية والاجتماع والتاريخ وعلم النفس والقانون...حيث الجدل الدائر في أصل الطبيعة البشرية...وتقرير أن الأصل في الإنسان الخير (والفطرة) ولكنه يتأثر بالعوامل والظروف المحيطه وبالبيئة...

- رد على العقيدة المسيحية المحرفة من جذورها في مسألة توارث الخطيئة وعقيدة الخطيئة والفداء والتي قامت عليها العقيدة المسيحية...

و(الحمد لله) هو الشعور الذي يفيض به قلب المؤمن بمجرد ذكره لله...
رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً...
فبحبل من نعتصتم إن قطعت حبلك عنا؟!

• قف قليلاً وانتبه وضع العالم حولك على وضع Freeze وأعطِ لنفسك فرصة واحدة كي تفكر في حياتك ومصيرك ومآلك ثمّ ارسم لنفسك طريقاً وسط روتين تلك الحياة البغيض كي تصل إلى الله مُبصراً فيبعثك يوم القيامة مُبصراً، فمن كان في هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً.

«يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للّهِ ولِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ».

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)

• الإسلام هو دين الفطرة...
وحقيقته تصفية العبادة من كل صور الشرك والخرافة والتوجّه والتعلق بالله وحده لا سواه...
• وهذا محور الخلاف الأساسي مع الأديان والمذاهب الأخرى..

• الله عز وجل لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة.
كما أنّ الله عز وجل يريد أن يتوب علينا:
«وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ».

• لذلك أجهل القوم بالله وبصفات الله من ظنّ أن ذنبه ومعصيته أوسع من رحمة ربه!
«قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ».

- وسط هذا الصخب الذي يملأ العالم، ووسط مظاهر الحيرة والتيه وذلك العبث المتراكم ..

- يصرخ القرآن فيك:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)

(فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ)

- تخيل هذا الموقف حيث الشعور باليأس التام الذي لا يحمل معه أي أمل في النجاة، فلا مجال لقبول استعتاب ولا مجال لصبر بعده فرج، هنا بعد العسر عسراً أيضاً..

- اللهم سلمنا ولا تخزنا ولا تجعلنا في مثل هذا الموقف أبداً..

(أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ)

رسالة لكل متكبر ولكل حاكم ولكل طاعن في دين الله وفي تشريعاته وفي حكمته، ورسالة أيضاً لكل منكر لوجوده أو مشكك في ذلك..

- لا تنسَ أن هذا أصلك مجرد حيوان منوي! وربنا الذي أكرمك وخلقك في أحسن تقويم ورزقك، والعجيب أنه يحلم عليك ويمهلك..

رسالة إلى المكذبين

«وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»

• رسالة إلى جميع من يُكذِّب بنبوة النّبي محمد ولا يرى صحة الإسلام: كيف يُضلّ الله المسلمين والنّاس جميعاً بعد أن أقام وأظهر إليهم كل هذه الأدلة المتضافرة على صدق النّبي محمد وحُسن صفاته وسيرته وتطابق دعوته ومنطلقات رسالته مع دعوة الأنبياء من قبله فقد جاء بالحق وصدّق المرسلين؟!

وكيف يضلّهم بعدما أنزل إليهم ذلك القرآن العظيم مُتحدّياً أساطين اللغة والفصاحة عبر التاريخ؟!

بل كيف يضلّهم وقد جعل في هذا الكتاب أخبار الأمم السابقة وقصة البداية والإجابة عن أسئلة الإنسان الوجودية عن المعنى من الحياة والغاية والمآل، بالإضافة إلى ما فيه من حديثٍ معجزٍ عن النفس البشرية وما يصلحها ويصل بها علمياً وعملياً إلى ما تُنشده من السلامة والصحة النفسية؟!

«أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»

ثمّ كيف يُضلّهم بعد كل هذا التوفيق الاستثنائي لذلك النّبي الكريم، فقد أظهر حجته ونصر دعوته وخلّد ذكره وأيّده على من خالفه وعاداه؛ بالحُجة والبيان بأن جعل كتابه مُهيمناً على كل الكتب كما مكّن له في الأرض بالسيف والسنان بأن أقام له دولة وحضارة بمجموعة من البدو المشرذمين وفي سنوات معدودة لا يستقيم معها أي تفسير أو تحليل مادي بمعزل عن ذلك السند والتأييد الإلهي؟!

أخيراً لقد نجح وفلح ذلك النبي الكريم في كل شئ وأهم ما فلح فيه هو ما قام به من تصحيح التصورات والمفاهيم الوجودية وإبطال الخرافات والأساطير والانتصار للتوحيد الخالص المُتّسق مع الفطرة البشرية والمعارف الأولية لدى عقلاء البشر جميعاً، فكيف يُضلّ الله من آمن بذلك الرجل الكريم نبيّاً ورسولاً مُبلّغاً عن رب العالمين؟!

«قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ»

• في الحقيقة إذا لم يكن محمدٌ نبياً مُرسلاً بعد كل هذا فلا يُمكن أن يكون لله نبيّ مُبلّغ وحي السماء إلى ذلك العالم المجهول وتلك البشرية المُنتظرة كلمة الإله كي تُخرجها من مستنقع العبثية وتصورات الجاهليّة!



وقفات مع كورونا

المسلم بالطبع يسأل الله دوماً العافية ولكن إن وقع عليه البلاء فسيلحظ أن المحن تحمل كثيراً من المنح وأن ما نظنه شراً يحمل في طياته خيراً كثيراً..
أزمة فيروس كورونا أيضا تحمل الكثير من المنح والدروس المستفادة ومن أهمها إدراك -إنسان العصر الحديث والتقدم العلمي وعصر الحداثة- مدى خطورة ما وصل إليه من (الشعور الداخلي بالاقتدار والاطمئنان للدنيا والركون إليها وإلى الأسباب في مقابل الاستغناء عن الله رب الأسباب)، فإنه إن حدث ذلك جعلها الله حصيداً كأنها لم تتزين يوماً ما..

«إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا (وَاطْمَأَنُّوا بِهَا) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ»
«حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ (وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا) أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»

• التقدم في العلوم والصناعات وإقامة حضارة مادية قوية لا يلزم منه تقدم موازي في عالم الأفكار والتصورات والمعتقدات..
لذلك من المغالطات المنطقية التأثر بعالم أفكار الغرب وتصوراتهم عن الحياة والوجود لمجرد تقدمهم المادي، بل لابد أن تظل هناك نظرة استعلائية بالدين والعقيدة-المبنية على الأدلة والبراهين-فوق كل التصورات والأفكار الأخرى..

• الخطاب القرآني يُقيِّم الأمم والحضارات على أساس تصوراتهم وأفكارهم ومعتقداتهم وقِيمهم لا على أساس ما وصلوا إليه من حضارة مادية وتقدم في العلوم والصناعات..

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩)وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ).

(وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ(٨٣) فمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

لأي أحد يخاف دائماً بل ويُعرض عن طلب الفتوى من المتخصص لمعرفة الحكم الشرعي في أمور دنياه ومعاشه ومعاملاته المالية على الرغم من أنه قد يكون هذا الأمر حاك في صدره، وفي نفس الوقت يسارع إلى طلب الفتوى إذا علم أن الحكم في صالحه، وأيضا إذا كان في نزاع مع أحد من الناس وعلم أن الحق عليه أو معه فيعرض عن الشرع هنا ويعظمه هناك!!

(وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠))

(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)

• عجزوا عن اتهامه بالكذب لأن لا أحد سيصدق هذا الزعم فهو الصادق الأمين، ولما رأوا معجزة القرآن اتهموه بالسحر وهذا دليل عجز، وفي نهاية المطاف اتهموه بالجنون!!
الله يعظهم ويعظنا أن نتفكر في حاله وسيرته، كيف يكون هذا مجنون؟!!
• إنما هو رسول رب العالمين..

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا)
• الله وصف الوحي بالروح.
• التدين والتمسك والالتزام بالدين ليس عبثاً كما يظن البعض، بل إنه حياة الروح الحقيقة.

(أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا)

• تشبية عجيب وآية عظيمة..
تأملوا بلاغة القرآن:

(وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ)

(فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

• تدبر الأسلوب القرآني، جمع عجيب بين الخطاب العقلي الذي يرد على منكري البعث والحياة الأخرى من كفار قريش وغيرهم، وبين الخطاب الوجداني العاطفي الذي يبرز رحمة اللّٰه وآثارها..
وكل ذلك في صورة بلاغية تأخذ بقلبك وعقلك وتؤثر فيك دون أن تشعر...
• ولكن فقط تدبر القرآن..

(وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ)
• رسالة إلى كل أب وأم أن يستغيثان اللّٰه ويهتموا بتربية أولادهم على الإيمان ويصبروا على ذلك..

• من الأشياء المميزة في القرآن أنه يعيّشك حالة تحوطك من جميع الجوانب العقلية والروحية والنفسية..
فتجد نفسك مثلاً مع هذه الآية تستغيث من داخلك لكل من ترك الدين أو اتخذ موقفاً معادياً أو ألحد وتقول له ويلك آمن إن وعد اللّٰه حق..

لحظة ما!

في لحظة ما خرجت من بطن أمك إلى عالم غريب فيه أرض وسماء، نهار وليل، موت وحياة، تندهش وتتعجب وتسأل عن كل شئ حولك تراه عينك لأول مرة..
خرجت من رحم أمك متأملاً متعجباً مندهشاً..
ثم ما تلبث أن تغوص شيئاً فشيئاً في تفاصيل الدنيا البغيضة وحواراتها التي لا تنتهي، وينتهي بذلك هذا الحس التأملي الطفولي..
يمر عمرك كله ولا تستطيع أن تقف مع نفسك لحظة واحدة لتسألها أهم سؤال في الحياة: لماذا أنا هنا؟!!
لماذا نحن هنا؟!

- ما الغاية من وجودي في هذه الحياة؟!

هل أنا هنا كي آكل وأشرب وأنام وأتكاثر وأموت وفقط؟!!
هل تنتهي القضية بذلك؟، وهل هذا أصلا يشفي غليلك ويريح قلبك ويقنع عقلك؟!!
سؤال فطري وجودي منطقي لابد وأن تسأله لنفسك، بل ولا يهدأ لك بال حتى تجد إجابة تريح قلبك وتطمئن بها ذلك القلق الوجودي القابع في داخلك..

- فاللهم ارزقنا ذلك التدبر والتفكر وتلك الإندهاشة المتسائلة...

اندهاشة الطفل التي غلبتها روتين العادة وتفاصيل الحياة وطغيان المادة..
(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)
(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)

الظاهرة القرآنية

إنّ القرآن قد جاء بثورة تصحيحية شاملة في المفاهيم وخاصة المفاهيم الوجودية.
جاء ليستثيرنا ويستفزنا كي نفكر في الكون والوجود والنفس والحياة؛ جاء ليجعلنا نقتحم ذلك العالم المجهول الذي أرَّق الفلاسفةَ وأرهقهم على مر الزمان؛ جاء ليدفعنا إلى إعمال العقل والفكر في الكون ثم إلى طرح التساؤلات والبحث عن الحكمة، ولكنه لا يتركنا في حيرتنا ويمضي كما يفعل الفلاسفة حين يسألون ولا يجيبون؛ بل إنّه لا يتركنا حتى يُزيل حَيرتنا وينزع غشاوة الجهل عن أعيننا.

- وهكذا يظلّ المسلم يتنقل دوماً بين كتاب الله المنظور في الكون وكتابه المسطور في القرآن فيزداد فهماً ووعياً لحقائق الوجود والمعنى من الحياة..

قال تعالى: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ».
قال تعالى: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

قال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

لو كان خيرا؟

(وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه...)

على الرغم أن كثيراً من الغرب والأجانب بصفة عامة يدخلون في الإسلام بفضل الله وعلى الرغم من أنه الدين الأكثر انتشاراً، إلا أن من الأسباب التي تمنع بعض الأجانب من الدخول في الإسلام أنهم يقولون لنفسهم كيف أن الإسلام هو الحق ونحن نرى أغلب من يؤمن به في الأساس من الدول المتخلفة ومن العالم الثالث وخلاف ذلك؟ فلو كان هو الحق بلاشك لكان أولى أن تؤمن به الدول الراقية والشعوب الأكثر تقدماً ورقياً وذكاء!!

• هذا التصور من الممكن أن يحدث على مستوى الجماعات والأمم أو على مستوى الأفراد أيضاً؛ فتجد مثلاً معايير مثل: (العلم المادي والمكانة الاجتماعية) تحكم هذه المسألة عند البعض وتشكل عندهم انطباعاً خارجياً ساذجاً أبعد ما يكون عن الموضوعية...
وهذه حقاً مغالطة منطقية واضحة يمكن أن تكون حاجزاً بين الشخص وبين أن يترك لنفسه فرصة لينظر في أمر هذا الدين ويبحثه بشكل موضوعي...

بدون وحي

(فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)

من جميل ما سمعت أن الإنسان بدون وحي ورسالة مثل آدم قبل أن يتلقى من ربه الكلمات!
آدم وقتها كان يقف ضده نفسه وإرادته الحرة مع طبيعته البشرية القابلة والمستعدة للخطأ، والكون المحيط به الملئ بالشهوات ودوافع المعصية، والشيطان الذي يوسوس..

كل ذلك في وجود اللّه الذي يراقبه وسيحاسبه..
في المقابل ليس معه أي شئ يساعده ويوضح له الخير من الشر والحق من الباطل، وليس معه أي أدوات لتصحيح المسار والعودة إلى الحق مرة أخرى قبل فوات الأوان...

• في ظل ذلك تلقى آدم من ربه كلمات كما تلقى بنوه بعد ذلك من ربهم كلمات الوحي فتاب عليه لأنه اتبعه، وهكذا يتوب الله على من اتبع وحيه..

(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)

- ومن عجيب أمر القرآن أنه نزل على رسول الله منجماً (متفرقاً) طيلة ٢٣ عاماً، فلم تكن السورة-غالباً- تنزل كاملة مرة واحدة، ولكنها تنزل على هيئة آيات متفرقة مناسبة لأحداث ومواقف معينة في سياقات زمنية ومكانية مختلفة.
ثم بعد ذلك جمع النبي هذه الآيات المتفرقة في هيئة سور مستقلة فصارت متكاملة موضوعياً ولها عقد ناظم ووحدة موضوعية متسقة وواضحة تربط آياتها بعضها ببعض ربطا دقيقا!

- هذا حالهم: (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ)
- فماذا عنكم؟! (فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)
- واعلم قبلها: (إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ)

والحديث القدسي عن الله:(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي, فليظن بي ما شاء)
- ولكن حسن الظن يستلزم حسن العمل

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)

- صوت الحق دائماً واضح وظاهر وسريع ونافذ، لذلك لا يجد من يعارضه حيلة إلا التشويش عليه ومحاولة عدم إيصاله للناس!!

• إنّ مجرد الشعور بوجود قوة عليا تراقب وتعتني وتحمي وتربّي وتهدي وترشد وتتدخل في مسار الأحداث الأرضية يجعل المؤمن يشعر بمزيدٍ من الراحة والهدوء لأنّه في النهاية هناك من يلجأ إليه في النوازل مُستعيناً به على قضاء الحوائج وهو قادرٌ على ذلك في مقابل الفراغ الروحي لدى الملحد المُسبّب للإحساس المتواصل بالخوف والقلق والشعور بالوحدة أمام تلك الطبيعة الصّمّاء التي لا تسمع نداءً ولا تجيب دعاءً ولا تُدرك معاني الرحمة والشفقة والعدل.

قال تعالى: «وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ».
قال تعالى: «أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ».

• من أعظم نعم الله علينا وجود ذلك النبي بحسن صفاته وصدقه وأمانته سواء كان موجوداً بشخصه أو من خلال أخباره وسيرته؛
وأيضاً من أعظم نعم الله علينا ذلك القرآن العظيم بما فيه من أوجه إعجاز مختلفة ومنظومة تشريعية متكاملة وتحديه للناس جميعاً أن يأتوا بمثله.
• ويكفي للدلالة على صحة الإسلام وأنّه الدين الحق والرسالة الإلهية الخاتمة النظر في حال رسول اللّه وآيات الكتاب العظيم، فالحجة قائمةٌ بهما ولا مجال بعدهما للاختلاف أو الشك في أمر ذلك الدين..

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ).

دنيا زائلة

الله قد أراحك من الكثير من عناء التفكير الزائد عندما ذكر تصريحاً أنّ تلك الدنيا التي نحياها فانية وليست دار قرار، كما أنها أيضاً ليست دار عدل، وبالتالي توقّع وقوع الظلم عليك لأنك في النهاية واقع في الابتلاء والامتحان أياً كانت صورته (صحة - رزق - أهل...)..
«وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ»

اعلم أنّنا غير متساويين في الرزق ولا في الصحة ولا في البنين ولا في أي شئ ولا يُفترض أن نكون كذلك لأنّ ذلك ضد الإرادة الكونية والحكمة الإلهية من خلق الإنسان؛
إذن هوّن على نفسك ولا تنتظر قيام العدل هنا بل ولا تنتظر أن تعيش آمناً من مصائب الدنيا هنا..
«وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ».

- خذ نفساً عميقاً وهدّئ من روعك واعلم أنّها في النهاية دنيا زائلة وأنّ كل ما تنتظره وترجوه من الأمن التام والنعيم المقيم الغير مَشُوب بألم نفسي أو فراق عزيز أو خوف من مستقبل مجهول هو بالفعل موجودٌ يقيناً ولكن شرطه الوحيد أن تنجح في اختبار الدنيا هذا بالإيمان بالله والتوكل عليه والصبر عند الضراء والشكر عند السراء والحفاظ على حبلٍ بينك وبين الله ممدود....إياك إياك أن تقطعه..
«أبشِروا، فإنَّ هذا القرآنَ سبَبٌ طرَفُه بيدِ اللهِ، وطرَفُه بأيديكم فتمسَّكوا به؛ فإنَّكم لنْ تضِلُّوا ولن تهلِكوا بعدَه أبدًا» (حديث).

فتنة السراء

(كَلاَّ إِنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَى أَن رآه اسْتَغْنَى)

• أصعب ما في فتنة السراء عندما يجد الإنسان الدنيا أمامه حلوة خضرة(زوجة وأبناء وعمل جيد وحياة سعيدة), فقد يشعر حينها بالاستغناء بالأسباب عن الله رب الأسباب، وقد ينشغل بالنعمة عن شكر رب النعمة، فيتجاوز حده كعبد ويطغى..

بخلاف فتنة الضراء التي قد تؤدي لانقطاع الأسباب عن العبد وبالتالي يشعر بالاحتياج الإضراراي إلى الله..

(أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ)

(وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)

فالإنسان إذن في حقيقته واقع بين تلك الثنائية إمّا الاستغناء الاختياري أو الاحتياج الإضراري، وإمّا توافر الأسباب أو انقطاع الأسباب، وكل هذا من ابتلاءات الحياة المُستمرة التي هي في الأساس دار ابتلاء واختبار لا دار قرار وبقاء..

• ولكن ما أودّ التركيز عليه هو الحذر من فتنة السرّاء لأنها زينة خفية قد تحسبها خيرٌ لك وهي في الحقيقة شرٌ كبير..

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ)

وتحسبوه هينا

• لأي أحد ينشر كلامًا ويسارع فيه -بدون أي علم- خصوصاً لو كان متعلقاً بالتعريض لسمعة أحد، أو فيه إساءة وتجريح لمشاعر أحد وللأسف فإن هذا يحدث كثيراً جداً...

قال تعالى: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ)

وقال تعالى:(نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ)!
• أنكروا الله، فأصبح الكون بلا هدف، وأصبح الإنسان نفسه لا معنى لوجوده، ففقد الإنسان إنسانيته ونسي نفسه.
كثيرا ما كان يردد الآية دكتور عبدالوهاب المسيري -رحمه الله- لما تحمله من معنى صادم وشديد ضد الفلسفة المادية.

وقال أحدهم في قوله تعالى عن المتقين: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ»: (والإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان, فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه...)

عن القدر

• لماذا يفعل الله كذا وكذا؟!
الجواب: -(لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ).

• لماذا لا يُسأل عما يفعل؟
الجواب: -(وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا).
-(قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ: (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)).

• كيف لي أن أطمئن أن هذا العلم الإلهي يشمل حقيقة الأشياء والأمور الخفية وما يدور بداخلي وفي عقلي؟
الجواب: -(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)
-(فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى).

• كيف لي أن أطمئن أن هذا العلم الإلهي الشامل ليس علماً مجرداً عن الرحمة والحكمة والعدل؟
الجواب: -(وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ).
-(هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ).
-(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ).
-(وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا).

اطمئن إذن وأرح عقلك وسلّم أمرك إلى اللّه واعلم أن أمرك كله بين يدي إله عليم حكيم قادر عدل رحيم..

ضرورية الدين

(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)
عدم اكتمال العدل في الدنيا هو دليل على ضرورة إرسال الله للدين والرسالة التي تؤكد وجود حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا ليكتمل فيها العدل، وإلا كان ذلك وصف صريح للخالق بالظلم لأنه ترك المظلومين هكذا دون أن يأخذوا حقوقهم ممن ظلمهم..
سيكون وقتها لا فرق بين الظالم والمظلوم، ولا بين القاتل والمقتول..

- لذلك الرسالة والدين هو التفسير الوحيد لوجود هذا الظلم الذي نراه في العالم لا لأنه سببٌ فيه (كما يدّعي الملاحدة) ولكن لأنه التفسير الوحيد لوجوده في ظل الإقرار المسبق بوجود الله..

(أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)

يوما ثقيلا!

(كلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ، وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ)

• الإنسان مجبول على التعلق الأكثر بالمنفعة العاجلة والسريعة، والتعلق الأقل بالمنفعة البعيدة حتى وإن كانت أكبر..

• وهذا السلوك الإنساني يحتاج إلى تقويم لأن هذا التقويم سيكون مهم جداً في تحسين معنى العمل للآخرة والنظرة إليها، وأيضاً مهم لنظرة أكثر مصداقية عن حقيقة الدنيا ووضعها في موضعها وحجمها الطبيعي كما أراد الله، وهذا كفيل بتغيير حياتك كلها للأفضل..

• هذا التقويم يتم من خلال تعلق القلب بالآخرة بكثرة ذكرها، ولا يذكرك بها خير من آيات الله وحديثه عنها وعن الدنيا وحقيقتها، وأيضاً يتم من خلال التحفيز النفسي وتهيئة النفس لذلك بأن تقول لها يا نفس اصبري على ملذات سريعة مؤقتة تعقبها حسرة ووخز في الضمير وارتقي عن كل ذلك وفكري فيما أعده الله للمتقين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر...

(إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا)

• (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ)
(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)

• الكون ينطق بالغاية والمعنى وهو حي بقوانينه الثابتة التي تصفه وبقدرتنا على فهمه واستيعابه..
وبذلك فإن الإنسان المتجاوز للطبيعة المتميز عنها والمتصف بالطبيعة الثنائية بالروح والمادة أولى بالغاية والمعنى..

الله لا يخلق عبثاً، وتتأكد تلك المقولة عندما يكون هذا المخلوق قد خُلق خلقاً خاصاً مركباً متميزاً بالإرادة الحرة وبالاختيار..

(فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا)

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ)

• الآية هنا تتكلم عن وعيد شديد من الله لمن يكذب عليه ولمن ينسب كلامه إلى الله كذباً وزوراً، وتتحدث بمزيد تفصيل عن حال ذلك الشخص وغيره من المشركين حين يأتيهم الموت أو اليقين فيشهد حينها على نفسه بالكذب والضياع ولكن في وقت لا تنفع معه توبة ولا رجوع..

• وهنا نقف قليلا ونتسائل: هل يعقل أن يقول ذلك الكلام رجل يكذب على الله في أمر الوحي والرسالة؟!

• وهل حدث شيئ قريب من ذلك عند موت النبي أم أنها كانت خاتمة ثابتة أوصى فيها المسلمين بالصلاة كما كان مشتاقاً لجوار ربه مردداً: بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى!

(لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)

• من أكثر ما يمنع ويصد أبواب خير لا تعد ولا تحصى على العبد هو إيلاف النعمة والنظر إليها نظرة اعتيادية..
أنا في صحة جيدة لأنه ببساطة هذا هو الطبيعي..
آكل وأشرب وأنام وأمشي وأفكر وخلافه لأن هذا هو الطبيعي..
رزقني الله بالزوجة والأولاد وهذا هو الطبيعي..
لا تفكر ولا تتدبر أن هذه نعم الله عليك من الممكن أن يسلبها منك ولكنك تحتاج إليه في كل لحظة ليمنحك إياها..
• كن متعلقاً بالله موصولاً بحبله قبل النعمة حتى يعطيها لك وبعد النعمة لأن الشكر يزيد ولا ينقص، ولأنه في النهاية النعيم الحقيقي هو نعيم الآخرة فهي خير وأبقى..

مصطلحات: (الأخلاق والمعيار والمعنى والغاية والحكمة والإرادة والقيمة والجمال والتضحية والروح والعاطفة والعقل والوعي) هي مصطلحات لا يمكن الاستغناء عنها في الواقع والحياة فهي مُفسّرة للسلوك الإنساني والاجتماعي، ولا يمكن فهم الوجود والإنسان والحياة إلاّ بها؛ وفي الوقت ذاته فهي جميعاً مصطلحات دينية لا تنتمي إطلاقاً لعالم المادة بل هي مجاوزة ومفارقة للطبيعة المادية..

• حقيقةُ الإنسان أنّه كائنٌ مُركّب لا يمكن تفسيره وإدراكه من خلال الجانب المادي فقط، ولكنه كائن مُجاوز لتكوينه المادي الضيق متصل بشكل ما بالسماء منذ لحظة النفخة العُلوية الأولى..

(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)


مركز الفتح
للبحوث والدراسات